أغاثا كريستي

عيّنة من الرواية

(للتصفح والاطّلاع)

جَريمَة في قِطَار الشَّرق

بسم الله الرحمن الرحيم

أغاثا كريستي

جَريمَة في قِطَار الشَّرق

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٣٤

ترجمة: زياد أحمد عبيدات

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٣٤ بعنوان

Murder on the Orient Express

Copyright Agatha Christie Mallowan 1934

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنَع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة
٢٠٢٠

الجزء الأول

الحقائق

الفصل الأول

راكب مهم في قطار طوروس

كانت الساعة الخامسة من صباح يوم من أيام الشتاء في سوريا، وقد وقف على طول الرصيف في حلب ذلك القطارُ الذي أشارت إليه بتعظيمٍ كبير منشوراتُ شركة سكة الحديد بعد أن أسمته قطار طوروس السريع، وكان يتكون من عربة مطعم ومطبخ وعربة نوم وعربتين أُخرَيَين.

وعند الدرجات التي تصعد إلى عربة النوم وقف ملازم فرنسي شاب متألق بزيّه يتحدث إلى رجل نحيل ضئيل الحجم غارق بالملابس حتى أذنيه بحيث لا يظهر منه سوى أنفٍ احمَرَّت أرنبته وطرفَي شاربيه المفتولين إلى الأعلى.

كان الطقس بارداً جداً لدرجة التجمد، ولم يكن الملازم دوبوس ليُحسَد على مهمته هذه في وداع رجل غريب بارز. إلّا أنه قام بواجبه برجولة، إذ كانت عبارات الإطراء تتدفق من شفتيه بلغة فرنسية مهذبة رغم أنه لم يعلم ما هو الموضوع كله. انتشرت إشاعات بالطبع (كما هي العادة في مثل هذه الحالات) وقد بدأ مزاج

الجنرال (جنراله هو) يسوء ويسوء، ثم جاء هذا البلجيكي الغريب قاطعاً الطريق كله من إنكلترا فيما يبدو. ثم حل أسبوع من التوتر الغريب. ثم حدثت بعض الأمور، إذ انتحر ضابط متميز واستقال آخر فانفرجت بعض الوجوه المتوترة وبدأ تخفيف بعض الإجراءات العسكرية الاحترازية. وفجأة بدا الجنرال (جنرال الملازم دوبوس) أصغرَ من سنّه بعشر سنوات!

كان دوبوس قد سمع بعضاً من الحديث الذي دار بين الجنرال وبين الغريب. قال الجنرال بشيء من العاطفة وقد ارتجف شارباه الأبيضان وهو يتحدث: لقد أنقذتنا يا عزيزي؛ لقد أنقذت شرف الجيش الفرنسي وجنّبتَنا الكثير من الدماء! كيف أستطيع أن أشكرك على قبول طلبي؟ أن تأتي كل هذه المسافة...

أجاب الغريب (واسمه هيركيول بوارو) إجابة مناسبة، وكان من ضمنها عبارة: وكيف لا أتذكر أنك أنقذت حياتي مرة؟

ثم أجابه الجنرال -بدوره- إجابة مناسبة نافياً أي فضل له في تلك الخدمة السابقة. وبعد المزيد من الإشارة إلى فرنسا وبلجيكا والعظمة والشرف وأمثال هذه الأمور تعانق الاثنان بمحبة وانتهت المحادثة.

لم يعلم الملازم دوبوس شيئاً عن الأمر، ولكنه وُكِّل بمهمة وداع السيد بوارو عند قطار طوروس السريع، وقد مضى ينفذ هذه المهمة بكل الحماسة والاندفاع اللذين يناسبان ضابطاً صغيراً ذا مستقبل مبشر بالخير.

قال الملازم دوبوس: اليوم هو الأحد، وغداً مساء ستكون

في إسطنبول.

لم تكن هذه المرةَ الأولى التي يدلي بها بهذه الملاحظة، إذ يبدو أن المحادثات على رصيف المحطة قبل مغادرة القطار تتصف دوماً بتكرار بعض العبارات.

وافقه السيد بوارو: هذا صحيح.

- وأظنك تنوي البقاء هناك لبضعة أيام، أليس كذلك؟

- بلى، فأنا لم أَزُرْ إسطنبول من قبل، وسوف يكون مؤسفاً لو تجاوزتُها هكذا...

حرّك أصابعه ملمّحاً إلى السرعة وأضاف: لا يوجد ما يدعوني إلى العجلة، سأمكث هناك سائحاً لبضعة أيام.

هبَّتْ ريحٌ باردة عبرَ الرصيف فارتعش الرجلان، واستطاع الملازم دوبوس أن يختلس نظرة نحو ساعته. كانت تشير إلى الخامسة إلّا خمس دقائق، ولم تبقَ سوى خمس دقائق. ولظنه أن الرجل الآخر لاحظ نظرته تلك فقد أسرع إلى الكلام مرة أخرى قائلاً وهو ينظر نحو نوافذ عربة النوم فوقهما: يوجد القليل من المسافرين في هذا الوقت من السنة.

وافقه السيد بوارو قائلاً: هذا صحيح.

- فلنأمل ألّا تغمركم الثلوج في طوروس.

- وهل يحدث مثل هذا الأمر؟

- نعم؛ حدث هذا من قبل، ولكنه لم يحدث هذا العام بعد.

قال بوارو: "لنأمل ألّا يحدث إذن". ثم أضاف: إن تقارير الطقس القادمة من أوروبا سيئة.

- سيئة جداً، مع وجود الكثير من الثلوج في البلقان.

- وفي ألمانيا أيضاً كما سمعت.

قال الملازم دوبوس ذلك بسرعة، وحين بدا أن الحديث قد يتوقف مرة أخرى أضاف: حسناً، ستكون في القسطنطينية غداً مساء في السابعة وأربعين دقيقة.

قال بوارو: نعم.

وفوق رأسيهما أُزيحت ستارة إحدى مقصورات النوم ونظرت امرأة شابة خارج النافذة.

* * *

لم تكن ماري ديبنهام قد نامت كثيراً منذ أن غادرت بغداد يوم الخميس الماضي، لا في القطار المتجه إلى كركوك ولا في الاستراحة في الموصل، كما لم تَنَمْ بشكل مناسب في القطار ليلة أمس. أمَا وقد سئمت من الاستلقاء يَقِظةً في مقصورتها الدافئة فقد قامت ونظرت خارج النافذة.

لا بد وأن هذه هي حلب. لا يوجد كثير مما يُرى طبعاً؛ مجرد رصيف طويل ذي إضاءة خافتة، ومشاحنات كلامية غاضبة بالعربية تجري في مكان ما. كان رجلان يتحدثان أسفل نافذتها بالفرنسية، وكان أحدهما ضابطاً فرنسياً، أما الآخر فكان رجلاً ضئيل الحجم عظيم الشاربين. ابتسمت ابتسامة باهتة، فهي لم ترَ قط أحداً يلبس

ملابس ثقيلة بهذا الكمِّ من قبل. لا بدّ أن الطقس بارد جداً في الخارج، وهذا هو سبب التدفئة الشديدة في القطار. حاولت بقوة أن تُنزِل النافذة إلّا أنها لم تتزحزح.

تقدم مسؤول تذاكر عربات النوم نحو الرجلين وأخبرهما أن القطار على وشك المغادرة وأن من الأفضل أن يصعد السيد إلى القطار. رفع الرجل الصغير قبعته. يا لرأسه البيضاوي! وعلى الرغم من شرودها إلّا أنها ابتسمت لمرأى الرجل الضئيل المضحك. إنه من نوع أولئك الرجال الذين لا يؤخَذون مأخذ الجِدّ.

كان الملازم دوبوس يلقي خطبة الوداع، وكان قد أعد تلك الخطبة من قبل واحتفظ بها حتى اللحظة الأخيرة، وقد كانت خطبة جميلة منمّقة. ولكن السيد بوارو ما كان ليقبل أن يتفوق عليه أحد، فرَدَّ عليه التحيةَ بأحسنَ منها.

وأخيراً قال مسؤول التذاكر: تفضل يا سيدي.

وبتردد شديد صعد السيد بوارو إلى القطار وصعد المسؤول خلفه، ثم لوح السيد بوارو بيده فأدى الملازم دوبوس له التحية. بعد ذلك، وبهزة عظيمة، تحرك القطار ببطء متقدماً.

تمتم السيد هيركيول بوارو: أخيراً!

* * *

قال مسؤول التذاكر وهو يشير بيده إلى جمال مقصورة نوم بوارو والترتيب الأنيق لأمتعته: تفضل يا سيدي؛ لقد وضعت

حقيبتك الصغيرة هنا.

كان لامتداد يده مغزى واضح، فوضع بوارو فيها ورقة نقد مطوية. وعندئذ قال مسؤول التذاكر وقد أصبحت نبرته سريعة عملية: شكراً يا سيدي. تذاكرك معي يا سيدي، وسوف آخذ جواز سفرك أيضاً إذا سمحت. هل أفهم -يا سيدي- أنك سوف تقطع رحلتك في إسطنبول؟

أومأ له بوارو موافقاً وقال: لا يوجد الكثير من المسافرين على ما أظن؟

- هذا صحيح يا سيدي. معنا مسافران آخران فقط وكلاهما إنكليزي؛ عقيد من الهند وفتاة إنكليزية من بغداد. هل يحتاج سيدي إلى شيء؟

طلب السيد زجاجة صغيرة من المياه المعدنية.

إن ركوب القطار في الخامسة صباحاً مسألة فظيعة، فقد بقيت لشروق الشمس ساعتان لا غير. تقوقع السيد بوارو للنوم في زاوية وهو يفكر في ليلة نام فيها قليلاً وفي مهمة حساسة قام بها بنجاح، وعندما استيقظ كانت الساعة التاسعة والنصف، فانطلق إلى عربة المطعم باحثاً عن قهوة ساخنة.

كان هناك شخص آخر فقط في تلك اللحظة، ومن الواضح أنها الشابة الإنكليزية التي أشار إليها مسؤول التذاكر. كانت طويلة نحيلة داكنة البشرة في نحو الثامنة والعشرين من عمرها، وقد ظهر شيء من الكفاءة الباردة في طريقة أكلها فطورها وفي الطريقة التي نادت

بها النادل ليحضر لها مزيداً من القهوة، مما يدل على معرفة بالعالم وبالسفر. كانت ترتدي ثوباً يصلح للسفر، داكن اللون ذا قماش رقيق يناسب التدفئة الشديدة في القطار.

ولما لم يكن للسيد بوارو ما يفعله فقد تسلى بدراستها عن كثب دون أن يظهر عليه ذلك، وقد حكم عليها بأنها من النوع القادر على الاعتناء بنفسه بسهولة أينما ذهب. كانت مثالاً للهدوء والكفاءة والانضباط، وقد أعجبه الانتظام الحادّ في ملامحها والشحوب اللطيف لبشرتها، كما أعجبه لمعان شعرها الأسود المتموج وعيناها الرماديتان الباردتان اللتان توحيان بالحياد، ولكنه رأى أن كفاءتها أكثر قليلاً من أن توصف بأنها امرأة مرحة.

في تلك اللحظة دخل شخص آخر إلى عربة المطعم. كان رجلاً طويلاً ذا جسم نحيل وبشرة بنّية بين الأربعين والخمسين من عمره، وقد بدأ شعر صدغيه يشيب.

قال بوارو في نفسه: هذا هو العقيد القادم من الهند.

انحنى القادم الجديد انحناءة بسيطة نحو الفتاة قائلاً: صباح الخير يا آنسة ديبنهام.

- صباح الخير أيها العقيد آربوثنوت.

سألها العقيد وهو يقف واضعاً يده على الكرسي الذي يقابلها: هل تمانعين؟

- كلا بالطبع، تفضل.

- حسناً، إن الإفطار -كما تعلمين- ليس من الوجبات التي

يروق للمرء التحدث أثناءها.

- آمُل ألّا يكون الأمر كذلك، ولكنني لا أعض.

جلس العقيد ونادى بحزم: "يا ولد"، ثم طلب بيضاً وقهوة.

توقفت عيناه للحظة على هيركيول بوارو ثم ابتعد بنظره بعيداً بلامبالاة، وعرف بوارو (وهو الذي يقرأ العقل الإنكليزي بدقّة) أن العقيد قال في نفسه: أجنبي لعين، ليس إلّا!

وكشأن الإنكليز دائماً، لم يتبادل هذان الشخصان الكثير من الحديث؛ فقط بعض الملاحظات العابرة، وبعد ذلك نهضت الفتاة وعادت إلى مقصورتها.

وفي وقت الغداء اشترك الاثنان في طاولة واحدة من جديد، ومرة أخرى أيضاً أهملا المسافر الثالث تماماً. كان حديثهما أكثر نشاطاً عما كان عليه وقت الفطور، وقد تحدث العقيد آربوثنوت عن البنجاب وأحياناً كان يسأل الفتاة عن بغداد، وبدا واضحاً أنها كانت تعمل مربية هناك. وأثناء الحديث اكتشفا أن لديهما أصدقاء مشتَركين، مما زاد الود بينهما وقلّل من الرسمية الصارمة. تحدثا عن بعض الأشخاص، ثم سألها العقيد عما إذا كانت ستستمر في رحلتها إلى لندن أم أنها ستتوقف في إسطنبول.

- بل أنا ذاهبة إلى لندن مباشرة.

- أليس هذا مؤسفاً؟

- لقد سافرت هذه السفرة قبل سنتين وقضيت ثلاثة أيام في

إسطنبول حينئذ.

- آه، فهمت. حسناً، أستطيع أن أقول إنني سعيد جداً لمرورك مباشرة دون توقف لأنني سأفعل ذلك أيضاً.

انحنى انحناءة مرتبكة، وتورد خداه وهو يفعل ذلك. وقال بوارو في نفسه بشيء من السرور: إن عقيدنا سريع التأثر. إن القطار خطير كخطورة الرحلات البحرية!

علّقت الآنسة ديبنهام -بلا عواطف- أن ذلك سيكون جيداً، وكان في طريقة كلامها ما يوحي بالحزم.

لاحظ بوارو أن العقيد رافقها وهي تعود إلى مقصورتها. وفي وقت لاحق مر القطار بالمناظر الرائعة في جبال طوروس، وقد كان الاثنان يقفان جنباً إلى جنب في ممر القطار عندما نظرا إلى الأسفل باتجاه الممر الجبلي المسمى «بوابات سيليسيا».

وفجأة تنهدت الفتاة بعمق. وقد كان بوارو واقفاً بالقرب منهما فسمعها وهي تتمتم: إنها رائعة جداً. أتمنى... أتمنى...

- نعم.

- أتمنى لو أستطيع التمتع بها!

لم يجبها آربوثنوت على الفور، وبدا الخط المربع لفكه أقسى وأكثر تجهماً. ثم قال: أتمنى حقاً لو أنك خارج هذا الأمر كله.

- صهٍ أرجوك، اسكت.

- آه، لا بأس.

ألقى نظرة انزعاج باتجاه بوارو ثم تابع كلامه: ولكن لا تروق لي فكرة كونك مربية، حيث تكونين تحت رحمة الأمهات المتسلطات وأبنائهن المزعجين.

ضحكت وفي صوتها أثر بسيط للاسترخاء وقالت: آه. لا تفكر هكذا، فالمربية المضطهدة أسطورة منقرضة، وأنا أؤكد لك أن الآباء والأمهات هم الذين يخافون من المربيات في هذه الأيام.

توقفا عن الكلام، وربما أحس آربوثنوت بالخجل بسبب فورة انفعاله.

قال بوارو لنفسه مفكراً: "إنها لكوميديا غريبة هذه التي أشاهدها هنا"! وقد قُدِّر له أن يتذكر فكرته هذه فيما بعد.

* * *

وصلوا قونية تلك الليلة في نحو الحادية عشرة والنصف، وخرج المسافران الإنكليزيان لتمرين أرجلهما بالسير جيئة وذهاباً على الرصيف المليء بالثلوج. أما السيد بوارو فقد اكتفى بمشاهدة النشاط المكثف في المحطة من نافذته، ولكن بعد نحو عشر دقائق قرر أن بعض الهواء النقي في الخارج لن يكون سيئاً، فاستعد بحرص للخروج، لبس عدة معاطف ولفاعات عنق وانتعل حذاء مطاطياً رقيقاً فوق حذائه، ثم انحدر ببطء نحو الرصيف وبدأ يسير على امتداده حتى تعدّى قاطرة المحرك.

كانت الأصوات هي التي نبهته إلى وجود الشخصين. كانا يقفان في ظل إحدى الحافلات الصغيرة وكان آربوثنوت يتحدث: ماري...

قاطعته الفتاة: ليس الآن، ليس الآن. عندما ينتهي كل شيء، عندما يصبح الأمر خلفنا. عندها...

وبحذر استدار بوارو مبتعداً وهو يتعجب، وقال في نفسه: غريب!

في اليوم التالي تساءل فيما إذا كانا قد تشاجرا، إذ قليلاً ما تحدث أحدهما مع الآخر، ورأى أن الفتاة بدت مضطربة، وقد ظهرت حلقات داكنة أسفل عينيها.

وفي نحو الثانية والنصف بعد الظهر توقف القطار وخرجت الرؤوس تطل من النوافذ. كان عددٌ من الرجال مجتمعين بجانب السكة ينظرون إلى شيء ما أسفل عربة المطعم ويشيرون إليه. وأطل بوارو من النافذة وتحدث إلى مسؤول التذاكر الذي كان يمر أمامه مسرعاً، فأجابه الرجل وعاد بوارو إلى الداخل. وعندما التفت كاد يرتطم بماري ديبنهام التي كانت تقف خلفه مباشرة.

سألت بالفرنسية وهي تلهث قليلاً: ما الأمر؟ لماذا توقفنا؟

- لا تخافي يا آنسة. لقد شبت النار في شيء أسفل عربة المطعم. لا خطورة في الأمر، فقد أُخمدت النار وهم يصلحون الخراب الآن. لا خطر أبداً، أؤكد لك ذلك.

صدرت عنها إيماءة سريعة وكأنها تستبعد فكرة الخطر كونها شيئاً غير مهم أبداً، ثم قالت: نعم، نعم، أفهم ذلك. ولكن الوقت!

- الوقت؟

- نعم؛ هذا سوف يؤخرنا.

وافقها بوارو قائلاً: هذا محتمل، نعم.

- ولكني لا أملك أن أتأخر، فمن المقرر أن يصل القطار في السادسة وخمس وخمسين دقيقة، وعليّ أن أقطع البوسفور للّحاق بقطار الشرق السريع في الجانب الآخر في الساعة التاسعة. ولو حدث تأخيرٌ لساعة أو ساعتين فسوف يفوتنا القطار.

اعترف قائلاً: نعم، هذا محتمَل.

نظر إليها متعجباً. لم تكن يدها التي تمسك بمقبض النافذة ثابتة تماماً، وكانت شفتاها أيضاً ترتعشان. سألها: أيهمك هذا كثيراً يا آنسة؟

قالت بسرعة: "نعم، نعم، إنه يهمني. يجب... يجب أن ألحق بذلك القطار". ثم التفتت مبتعدة عنه وسارت عبر الممر لتنضم إلى العقيد آربوثنوت.

ولكن قلقها لم يكن في محله، فبعد عشر دقائق بدأ القطار سيره ثانية، ووصل إلى هيدابسّار متأخراً خمس دقائق فقط، إذ استطاع القطار أن يسرع قليلاً ويعوض بعضاً من الوقت الضائع.

كان البوسفور مائجاً ولم يستمتع بوارو بالعبور، وقد انفصل عن رفيقيه المسافرَين أثناء وجوده على القارب ولم يرَهما ثانية.

وعندما وصل إلى جسر غَلَطا توجه من فوره إلى فندق توكاتليان.

* * *

الفصل الثاني
فندق توكاتليان

في فندق توكاتليان طلب هيركيول بوارو غرفة بحمّام، ثم توجه إلى قسم استعلامات الفندق وسأل إن كانت له رسائل.

كانت في انتظاره ثلاث رسائل وبرقية، وارتفع حاجباه بشيء من الدهشة لرؤية البرقية، فقد كانت غير متوقَّعة. ثم فتحها بهدوئه وتأنقه المعهودَين فظهرت الكلمات المطبوعة بوضوح: "التطور الذي توقعتَه في قضية كاسنر ظهر بصورة غير متوقعة. نرجو أن تعود فوراً".

تمتم بوارو بغيظ، ثم نظر نحو الساعة وقال لمسؤول الفندق: أنا مضطر للمضيّ في السفر الليلة. متى يغادر قطار الشرق السريع؟

- في الساعة التاسعة يا سيدي.

- هل تستطيع أن تحصل لي على مقصورة نوم؟

- بالتأكيد يا سيدي، فلا صعوبة في مثل هذا الوقت من السنة والقطارات تكاد تكون خالية. درجة أولى أم ثانية؟

- أولى.

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى لندن.

- سأحصل لك على تذكرة إلى لندن وأحجز لك مقصورة نوم في عربة إسطنبول-كاليه.

نظر بوارو نحو الساعة مرة أخرى وكانت تشير إلى الثامنة إلّا عشر دقائق. ثم سأل: هل لديّ وقت للعشاء؟

- بالتأكيد يا سيدي.

هز البلجيكي الضئيل رأسه، ثم ذهب وألغى حجز الغرفة في الفندق وعَبَر القاعة إلى المطعم. وفيما كان يقدم طلباته إلى النادل استقرت يدٌ على كتفه وقال صوتٌ خلفه: صديقي العزيز، يا لها من سعادة غير متوقعة!

كان المتحدث كهلاً قصيراً بديناً قص شعره قصيراً، وكان يبتسم بسرور. نهض بوارو بسرعة وقال: سيد بوك!

- سيد بوارو!

كان السيد بوك بلجيكياً ومديراً للشركة العالمية لعربات القطارات، وكانت علاقته مع النجم السابق لجهاز الشرطة البلجيكية تعود لعدة سنوات ماضية.

قال السيد بوك: أراك بعيداً عن الوطن يا عزيزي.

- قضية بسيطة في سوريا.

- آه. ومتى تعود إلى الوطن؟

- الليلة.

- رائع، وأنا كذلك. أعني أنني سأذهب حتى لوزان حيث لديّ بعض الأمور. أنت مسافر في قطار الشرق السريع على ما أظن؟

- نعم. لقد طلبت منهم لتوّي أن يحجزوا لي مقصورة نوم. كنت أنوي أن أقضي بضعة أيام هنا، ولكني استلمت برقية تدعوني للعودة إلى إنكلترا بسبب أعمال مهمة.

تنهد السيد بوك وقال: آه. أعمال، أعمال! ولكنك... ولكنك في أوج مجدك هذه الأيام يا صديقي العزيز.

- ربما حصلت على بعض النجاح.

حاول بوارو أن يبدو متواضعاً، لكنه أخفق في ذلك تماماً. وضحك بوك وهو يقول: سنتقابل فيما بعد.

ركز بوارو على مهمة إبعاد شاربيه خارج طبق الشُّربة، وبعدما نفّذ هذه المهمة الصعبة نظر حوله فيما كان ينتظر طبقه التالي. لم يكن في المطعم سوى ستة أشخاص، ومن بين هؤلاء الستة اثنان فقط جذبا اهتمام هيركيول بوارو.

جلس هذان الاثنان على طاولة غير بعيدة. كان الأصغر منهما رجلاً حسن المنظر في الثلاثين من عمره ومن الواضح أنه أمريكي، ولكنه لم يكن هو الذي جلب انتباه رجل التحري الضئيل، بل رفيقه.

كان رجلاً بين الستين والسبعين من عمره، ومن مسافة قريبة بدا من أهل الإحسان والخير، فقد بدا رأسه الأصلع قليلاً وجبهته المحدبة ووجهه المبتسم الذي يبدي طقم أسنان صناعية بيضاء، كل هذا بدا وكأنه يتحدث عن شخصية خَيِّرة، وحدهما العينان هما اللتان كذّبتا هذا الحدس! كانتا صغيرتين وغائرتين وماكرتين. وليس هذا فحسب، إذ بينما كان الرجل يحدث رفيقه الشاب نظر عبر الغرفة واستقرت عيناه على بوارو للحظة، وفي هذه اللحظة فقط ظهر حقدٌ غريب وتوتر غير طبيعي في نظرته.

ثم نهض قائلاً: ادفع الفاتورة يا هكتور.

كان صوته أجشَّ بعض الشيء، وكانت لذلك الصوت نوعية غريبة ناعمة خطيرة.

عندما انضم بوارو إلى رفيقه في القاعة كان الآخران على وشك مغادرة الفندق وقد أُنزلت أمتعتهما، وكان الأصغر منهما يشرف على الأمور، ثم فَتَح الباب الزجاجي وقال: جاهزون الآن يا سيد راتشيت.

دمدم الرجل الكبير موافقاً واندفع خارجاً.

قال بوارو: حسناً، ما رأيك بهذين الاثنين؟

قال السيد بوك: إنهما أمريكيان.

- هما أمريكيان بالتأكيد، ولكني قصدت سؤالك عن شخصيتيهما؟

- يبدو أن الشاب لطيف تماماً.

- والآخر؟

- في الحقيقة أنا لا آبه به يا صديقي، فقد ترك لديّ انطباعاً كريهاً. وأنت؟

صمت هيركيول بوارو لدقيقة قبل أن يجيبه. وأخيراً قال: عندما مرّ بجانبي في المطعم كان لديّ شعور غريب وكأن حيواناً متوحشاً... متوحشاً تماماً قد مر بجانبي.

- ومع ذلك فقد بدا وكأنه محترم جداً.

- بالضبط! إن الجسد (القفص...) يبدو محترماً جداً، ولكن الحيوان المتوحش يُطِلّ من خلال القضبان!

قال السيد بوك: إنك تتوهم يا صديقي العزيز.

- قد يكون الأمر كذلك، ولكنني لا أستطيع أن أبعد عن نفسي الانطباع بأن شراً قد مرّ بالقرب مني.

- ذلك السيد الأمريكي المحترم؟

- نعم، ذلك السيد الأمريكي المحترم.

قال السيد بوك بسرور: حسناً، قد يكون الأمر كذلك، ففي العالم شر كثير.

في تلك اللحظة فُتح الباب وجاء مسؤول استعلامات الفندق نحوهما. بدا قلقاً ومعتذراً وقال لبوارو: إنه أمر عجيب يا سيدي، فلا توجد مقصورة نوم واحدة فارغة في الدرجة الأولى في القطار.

صاح السيد بوك: ماذا؟ في مثل هذا الوقت من السنة؟! آه،

لا شك أن مجموعة من الصحفيين أو السياسيين...

التفت المسؤول نحوه باحترام وقال: لا أعلم يا سيدي، ولكن الأمر كذلك.

التفت السيد بوك نحو بوارو وقال: حسناً، حسناً. لا تخف يا صديقي، سنتدبر الأمر، إذ توجد دائماً مقصورة تبقى غيرَ مشغولة وهي المقصورة رقم ١٦، وهذا ما يحرص عليه مسؤول التذاكر دائماً.

ابتسم ثم نظر إلى الساعة وقال: هيا، لقد حان وقت الرحيل.

* * *

في المحطة استقبل مسؤول التذاكر بزيّه البني السيد بوك باحترام بالغ: مساء الخير يا سيدي، مقصورتك هي المقصورة رقم ١.

نادى الحمالين الذين حملوا الأمتعة على عربات إلى وسط عربة القطار وقد كُتِب على صفائح حديدية وجهة تلك العربة: «إسطنبول-تريستي-كاليه».

- القطار ممتلئ هذه الليلة كما سمعت؟

- شيء فظيع يا سيدي، فالعالم كله اختار السفر هذه الليلة!

- لا يهم، يجب أن تجدوا مكاناً لهذا السيد هنا. إنه صديق لي، ويمكن أن تعطوه المقصورة رقم ١٦.

- لقد أُخِذَت يا سيدي.

- ماذا؟ رقم ١٦؟

تبادلا نظرة تفاهم ثم ابتسم مسؤول التذاكر. كان رجلاً طويلاً وشاحباً في وسط العمر وقال: نعم يا سيدي، فالقطار مليء كما أخبرتك... مليء في كل مكان.

سأل السيد بوك غاضباً: ولكن ما الذي يحدث؟ ثم أضاف: هل يوجد مؤتمر في مكان ما؟ هل هي مناسبة لمجموعة ما؟

- لا يا سيدي، إنها المصادفة فقط. كل ما في الأمر أن العديد من الناس اختاروا أن يسافروا هذه الليلة.

أصدر السيد بوك صوتاً يعبّر عن الانزعاج وقال: في بلغراد ستنضم قاطرة إضافية قادمة من أثينا، بالإضافة إلى قاطرة بوخارست باريس، ولكننا لن نصل بلغراد حتى مساء الغد، فالمشكلة هي في هذه الليلة فقط. ألا توجد مقصورة فارغة في الدرجة الثانية؟

- توجد مقصورة فارغة في الدرجة الثانية.

- حسناً، إذن...

- ولكنها مقصورة سيدة، وفيها سيدة ألمانية. إنها خادمة.

قال السيد بوك: هذا صعب.

قال بوارو: لا تزعج نفسك يا صديقي، سأسافر في عربة عادية.

- أبداً، أبداً.

التفت ثانية نحو مسؤول التذاكر وقال: هل وصل الجميع؟

قال الرجل ببطء وتردد: في الواقع مسافر لم يصل بعد.

- تكلم. ثم؟

- المقصورة رقم ٧ في الدرجة الثانية. لم يصل الرجل بعد والساعة الآن التاسعة إلا أربع دقائق.

- من هو؟

- رجل إنكليزي.

نظر مسؤول التذاكر في قائمته ثم أكمل: السيد هاريس.

قال بوارو: اسم ذو فأل حسن. إنني أقرأ روايات ديكنز، والسيد هاريس لن يأتي.

قال السيد بوك: ضع أمتعة السيد في المقصورة رقم ٧، وإذا وصل السيد هاريس هذا فسنقول له إنه تأخر وإنه لا يمكن حجز المقصورات إلى هذا الوقت... سنتدبر الأمر بطريقة ما. ماذا يهمني من أمر السيد هاريس؟

قال مسؤول التذاكر: كما يحب سيدي.

ثم كلم الحمال الذي كان يحمل أمتعة بوارو وأرشده إلى أين يذهب، وبعد ذلك تنحى عن الدرجات ليدع بوارو يدخل القطار وقال: المقصورة قبل الأخيرة.

مرّ بوارو عبر الممر ببطء نوعاً ما لأن معظم المسافرين كانوا يقفون خارج مقصوراتهم، وكانت اعتذاراته تصدر بانتظام يشابه

انتظام الساعة، وأخيراً وصل إلى المقصورة المنشودة وبداخلها كان الشاب الأمريكي الطويل (الذي رآه في فندق توكاتليان) يمد يده إلى الأعلى نحو حقيبته. وعندما رأى بوارو يدخل قطّب حاجبيه وقال: اعذرني؛ أظن أنك ارتكبت خطأ.

ثم قال جاهداً بالفرنسية: أظن أن هذا المكان محجوز.

أجابه بوارو بالإنكليزية: أأنت السيد هاريس؟

- لا. اسمي ماكوين. إنني...

في هذه اللحظة جاء صوت مسؤول التذاكر من خلف بوارو بنبرة اعتذارية ونَفَس مقطوع: لا يوجد سرير آخر على القطار يا سيدي، ويجب أن يبقى هذا السيد هنا.

كان يرفع نافذة الممر وهو يتكلم، ثم بدأ يرفع أمتعة بوارو.

ولاحظ بوارو الاعتذار في صوته بشيء من التعجب. لا بد أنه وُعِدَ بمكافأة سخيّة لو استطاع أن يُبقي المقصورة لاستعمال المسافر الآخر فقط، ولكن حتى أكبر المكافآت سخاءً تفقد تأثيرها إذا كان رئيس الشركة على متن القطار يعطي أوامره.

خرج مسؤول التذاكر من المقصورة بعد أن رفع الحقائب على الرف وقال: حسناً يا سيدي، لقد تم ترتيب كل شيء. سريرك هو العلوي، رقم ٧. سننطلق بعد دقيقة.

سار مسرعاً عبر الممر، ودخل بوارو إلى المقصورة ثانية وقال بانشراح: ظاهرة نادراً ما رأيتها. ثم أضاف: مسؤول التذاكر يرفع

الأمتعة بنفسه؟ لم أسمع بهذا من قبل!

ابتسم رفيق سفره، وقد بدا واضحاً أنه تخطى الانزعاج الذي أصابه. ولعله رأى أن من المستحسن أن ينظر إلى الأمر بصورة فلسفية، فقد قال: إن القطار ممتلئ بصورة عجيبة.

صوّتَت صافرةٌ وصدر عن المحرك صوت كئيب وخرج الرجلان إلى الممر. صاح صوت في الخارج: "انطلاق"، فقال ماكوين: لقد تحركنا.

ولكنهم لم يتحركوا حقاً، وصوّتت الصافرة مرة أخرى.

قال الشاب فجأة: أقول يا سيدي، إذا كنت تفضل السرير السفلي (للسهولة وما إلى ذلك) فليس لديّ مانع.

اعترض بوارو قائلاً: لا، لا، لن أحرمك...

- لا بأس بذلك.

- أنت لطيف جداً.

صدرت اعتراضات مؤدبة من الطرفين، ثم أوضح بوارو: إنها لليلة واحدة فقط، ففي بلغراد...

- آه، فهمت. ستغادر القطار في بلغراد.

- ليس تماماً. أترى...؟

وقعت هزة مفاجأة، والتفت الرجلان نحو النافذة ونظرا نحو

الرصيف الطويل وهو يمر مبتعداً عنهم.

لقد بدأ قطار الشرق السريع رحلته التي تمتد ثلاثة أيام عبر أوروبا.

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمُل أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت لك قراءة ممتعة وعرَّفَتك بالرّواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية (وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال
www.al-ajyal.com